الأبعاد النفسية في رواية بهار لعامر حميو (دراسة في ضوء المنهج النفسي)

Psychological dimensions in the novel Bahar by Amer Hamiou

(A study in light of the psychological approach)

أ. م. د غانم أحمد حسين الشمري

Prof. Dr. Ghanem Ahmed Hussein Al-Shammari

ghanim. ahmed@imamaladham. edu. iq

الملخص

يعد أسلوب السرد النفسي من أبرز الأساليب التي أدت إلى ظهور الفن الروائي وعلاقته بعلم النفس والإفادة منه، ولإظهار أزمة الشخصية الروائية وإضاءة ما يدور في دواخلها من تصورات ومكنونات وهواجس ورغبات مكبوتة وإيصالها إلى القارئ بأسلوب سردي له الأثر البالغ في شد انتباهه والتأثير فيه. مما يجعله يحمل في نفسه الشفقة والألم والخوف تجاه الشخصية.

تحمل رواية (بهار) بين طياتها وفي ثناياها الكثير من الألم والخوف النفسي والمعنوي. ففي أحداثها تجد كل أنواع التعذيب البشعة التي تخالف فطرة الإنسانية وكرامة الإنسان التي كرمه الله بها. لذلك حاولت جاهداً أن أسلط الضوء على الألم النفسي في هذه الرواية وأن أعنيه بالدراسة وأقف على كوامنه وظواهره وأقدمه للقارئ بصورة تجعله أمام هذا الكم الهائل من المشاعر المختلطة بين الخوف والألم والتعذيب.

الكلمات المفتاحية: القتل، التعذيب، التهجير، الخوف، الألم

Summary

Psychological Narrative style one of the most prominent wethods that led to the emergence of novel art. and it's relation ship to Psychology and benefit from it and to show the Crisis of the novel character and show what is going on inside of the desires and deliver them to the reader in a narrative style that has agreaat impact on gaining attention and in fluencing it. which makes him carry Pity, pain and fear towards the character. bahar's novel carries between its sides a lot of mental andemotional pain. in it's events, you will find all kinds of heinous Torture that that contradicts human in stinct and human dignity with which God has honored him. there fore. I tried hard to stand on the psychological pain in this novel and to single it out for the study. I present it to the reader in away that puts him in front of these feelings between fear pain and torture.

Key Words: Kill, torture, displace ment, fear, pain

المقدمة

يعد أسلوب السرد النفسي من أبرز الأساليب التي أدت إلى ظهور الفن الروائي وعلاقته بعلم النفس والإفادة منه ولإظهار أزمة الشخصية الروائية واضاءة ما يدور في دواخلها من تصورات ومكنونات وهواجس ورغبات مكبوته وإيصالها الى القارئ بأسلوب سردي له الأثر البالغ في شد انتباهه والتاثير فيه مما يجعله يحمل في نفسه الشفقة والألم تجاه الشخصية. فالاتجاه النفسي في الرواية التي تحمل أبعاداً نفسية وفكرية لشخصياتها يحمل بين طياته العديد من المشاعر المختلطة بين ألم وفرح وحزن. يجعل القارئ متعاطفا مع الشخصية يكن لها العطف والرحمة والشفقة خوفاً من الوقوع في مثل مصيرها.

قسمت البحث على أربعة مطالب يسبقها تمهيد ومقدمه وتنتهي بخاتمة وقائمة للمصادر. تكلمت في المطلب الاول عن الحدث السردي وتاثيره على حالة الشخصية النفسية. وتكلمت في المطلب الثاني عن الشخصية وكيفية تعاملها مع الشخصيات الأخرى. وفي المطلب الثالث تحدثت عن الزمان من استرجاع واستباق وتأثيره على الشخصية. وفي المطلب الرابع جاء المكان وكيفيه تحول دلالته حسب الحدث الذي يجري فيه. وفي الختام فما كان من جيد العمل فمن الله وحده وهو الموفق وما كان من خطأ أو نقص فمني ومن الشيطان وسبحان من لا يخطئ.

التمهيد

الأبعاد النفسية في رواية بهار

دراسة في ضوء المنهج النفسي

كانت النفس الإنسانية منذ اقدم العصور محل انظار العلماء والدارسين. إذ غنيت مختلف الحضارات والفلسفات في الماضي بدراسة كنه الإنسان وخبايا النفس الداخلية والغور في اعماقها وكشف أسرارها لذلك عد كثير من النقاد والباحثين أن علم النفس ولد من رحم الفلسفة. والتي بلغت ذروتها عند الإغريق والحضارة الإغريقية " وترجع جذور علم النفس إلى آلاف السنين وتصل الى العديد من الحالات المعرفية، وقد أسهم الفلكلور والسحر والدين والفلسفة والعلم جميعاً في وضع أصول علم النفس " (القادر طه و وآخرون، ٢٠١٧م، صفحة ٨٦).

ويرجع علم النفس الى بداية ظهور الكائن البشري ومحاولاته تفسير مختلف سلوكياته حيث يعرف على أنه "علم دراسة السلوك بهدف الفهم والتنبؤ والضبط القائم على قواعد محددة ومضبوطة ومعينة يطلق عليها اسم المنهج " (الزق، ٢٠٠٦م، صفحة ٢٥).

ويختص علم النفس بناءً على هذا بدراسة النفس الانسانية عن طريق الأفعال الناتجة عنها إذ يخضع لمجموعة من القواعد والقوانين التي تحكمه ويصطلح عليه بالمنهج (اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته، ٢٠١١م، صفحة ٥).

لذلك سنحاول هنا أن نورد آراء العلماء العرب والغرب وأقوالهم في مفهوم علم النفس والعوامل والأسباب التي أدت إلى نشوءه

١- علم النفس عند (سيغموند فرويد)

مر علم النفس في مراحل تكوينه عبر العصور بالعديد من التجارب التي أدت إلى تطوره ونضوجه كعلم قائم بذاته. إذ يعد العالم النمساوي (سيغموند فرويد) المؤسس الفعلي لعلم النفس التحليلي إذ بدأ (فرويد) دراسته النفسية عن طريق الأزمنة الطويلة في استماعه لمرضاه المصابون بالشلل الهستيري والقلق حيث ان الكثير من الأعراض والأسباب التي يعاني منها المصابين بهذا المرض ترجع لأسباب نفسية لا لأسباب عضوية إذ كان يجد أن المريض قد تعرض أثناء طفولته إلى خبرات مؤلمة وعمل مواكبتها في العمل (الزق، ٢٠٠٦م، صفحة ٢٥)

إعتمد (فرويد) في دراسته على العقل والنفس الانسانية لا الجسد لأن التصرفات التي تنتج عن الإنسان نابعة بطبيعتها من ذاته ويركز (فرويد) على مرحلة الطفولة بوصفها مرحلة الشفافية التي يستقبل فيها الفرد كل الاشياء سيئها وحسنها والتي تؤثر عليه سلباً في كبره اذ تتحول إلى مكبوتات وعُقد وهذا ما يشكل عنده الاضطرابات النفسية. لهذا اهتم (فرويد) بدراسة العقل حيث اعتمد في تقسيمه الى ثلاث مناطق والتي تشمل مناطق اللاشعور، وما قبل الشعور، والشعور وهي كما يأتي:

١- اللا شعور: -

يعد (اللاشعور) أول المناطق التي حددها (فرويد) " وهو جزء من حياة الفرد يختفي وراء الوعي ويعد مستودعا للمشاعر والأفكار المكبوتة، وهو يؤثر في خبرة الفرد وسلوكه. وهو لا يعمل وفق مبدأ المنطق ويستمتع بالمتناقضات ويرفض أن يقول لا للرغبات , كما يوفرمادة الأحلام ويحتوي على تصورات واستنتاجات عقلية للغرائز و الجنسية خاصة" (اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته، ٢٠١١م، صفحة ٢٩)

٢- ما قبل الشعور:-

ما قبل الشعور هي المنطقة الثانية وهي منطقة من العقل لا تكون موجودة عندما يولد الشخص ولكنها تتطور مع استمرار تفاعل الفرد مع بيئته وقد ينظر إليها على أنها شاشة تفصل بين الشعور واللاشعور, ومن وظائفها العمل كمراقب وهي تؤخر اطلاق الغرائز " (اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته، ٢٠١١م، صفحة ٢٩). مرحلة ما قبل الشعور ليست موجودة اساساً في فطرة الإنسان وتكوينه وإنما تنمو وتتطور في عقل الفرد وتتطور عبر تفاعل الفرد مع الوسط الذي يعيش فيه. إذ يُعد هذا الأخير المنبع الرئيس الذي يستمد منه الشخص الخصائص والعناصر التي تساهم في بناء شخصيته.

٣- الشعور:-

يعد الشعور المنطقة الثالثة حسب رأي (فرويد) فهو أهم أجزاء العقل حيث يرى أن الشعور له وظيفة أعضاء الحس من حيث إدراك الحالات والصفات النفسية وتاتي المواد والشعور من اتجاهين وهما العالم الخارجي والمثيرات الداخلية " (اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته، ٢٠١١م، الصفحات ٢٩-٣٠).

والشعور حقيقة لا يمكن إنكارها إلا إننا نعيش الكثير من الحالات دون أن نجد لها سببا وعدم معرفتنا للسبب لا يعني أنه غير موجود ولكنه مجهول. فمثلا نحب شخصا ولا ندري لماذا، ونميل لأشياء دون ان نفقه السبب وهذا الأمر لا يمكن أن نجد له تفسيرا فيما يعرف بالشعور.

كما ذهب (فرويد) في تقسيمه للنفس الإنسانية إلى ثلاثة أقسام عن طريق دراسته للتطور الفردي ضمن الوجود الجماعي وهي كالآتي:-

١- الهو:-

وهو جانب مهم في التحليل النفسي " ومضمونه كل ما هو موروث يتألف أولاً وقبل كل شيء من الميول الغريزيه التي تصدر عن التنظيم الجسمي ونجدها تعبير عن ذاتها في صور نجهلها " (فرويد، ١٩٤٠م، صفحة ١٣)

٢-الأنا

ويمثل الجانب الذي يحاول التكيف مع الواقع " ويتحكم ويشبع الحاجات بشكل لا يتناقض مع قيم المجتمع وأخلاقه وينطلق من مبدأ الواقع فهو يسعى إلى الإقناع ولكن بطريقة الهو نفسها إذ أن الأنا يراعي متطلبات العالم الخارجي ومن أهم وظائف (الأنا) تطوير الإحساس بالواقع وضبط الحوافز الغريزية وتطوير حلول مرضية " (اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته، ٢٠١١م، صفحة ٣١).

٤- الأنا الأعلى وهو مناقض "للأنا " حيث يمثل جانب أخلاقي عالي " يعمل مبدأ الأخلاق إذ أنه يعاقب (الأنا) على الأفكار والأفعال السيئة ويتطور الأنا الأعلى خلال سنوات الطفولة المبكرة إذ يجب على الطفل تعلم الصواب والخطأ إذ أنه يكافئ على الصواب ويعاقب على الخطأ وعن طريق عملية التدريب يتطور الأنا الأعلى ويصبح قادراً على ضبط الفرد ذاتياً دون رقابة خارجية عليه " (اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته، ٢٠١١م، صفحة ٣٠).

كما يرى (فرويد) أن السلوك المضطرب الذي يتولد لدى الشخص تتحكم فيه مجموعة من العوامل إذ فصلها كما ياتي:

١- العوامل البيولوجية:-

وهي موجودة بفطرة الإنسان " حيث يعاني الفرد منذ ولادته من العجز والاعتمادية ونتيجة لذلك يزداد القلق لديه " (اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته، ٢٠١١م، صفحة ٣٣) لذلك فان الطفل عندما يولد يعتمد اعتماداً كلياً على من حوله. فهو عاجز عن القيام بأي تصرفات او رغبات ذاتية لذلك يشعر في كثير من الأحيان بالتوتر والقلق.

٢-ا العامل النشوتي النوعي:-

وهو العنصر المسؤول عن أي سلوك ناتج عن الفرد ويقصد به أنه خلال مراحل النمو الجنسي توجد مدة انقطاع او اضطراب وهي مرحلة الاكتمال، فالفرد في المراحل التي تسبق مرحلة الاكتمال ينظر للرغبات الجنسية على أنها محرمة ويميل الى كبتها لذلك قد يحدث السلوك العصابي بسبب اتباع الفرد لنفس الاسلوب في مرحلة المراهقة بحيث يكبت رغباته الجنسية " (اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته، ٢٠١١م، صفحة ٣٣) لذلك تعد مرحلة الاكتمال هي مرحلة الفصل بين الفرد ورغباته إذ يتوقف الفرد أمام رغباته بوصفها محرمة فيكبتها. ويعد العامل النشوتي النوعي أهم عامل يساهم في تحقيق الإضطرابات النفسية.

٣- العامل النفسي:-

وينتج هذا العامل "بسبب الصراعات بين مكونات العقل (الهو، والأنا والأنا الأعلى) او بسبب التثبيت في إحدى المراحل النفسية السابقة او بسبب تهديد الأنا ونتيجة لذلك يظهر:-

أ-القلق:-ويشير فرويد إلى ثلاث أنواع من القلق وهي كالآتي:-

١- القلق الواقعي" الموضوعي":- وهو خبرة انفعالية غير ممتعة تنتج من ادراك الفرد الى وجود خطر في العالم الواقعي كالخوف من شيء يستدعي الخوف مثل اقتراب حيوان مفترس او الصعود الى المرتفعات وغيرها.
٢- القلق العصابي:- وهنا تصبح مخاوف الأنا مبالغ فيها بسبب متطلبات الهو الغريزية ونتيجة لهذا القلق قد تضطرب نوبات الهلع وقد يظهر خوف غير منطقي من شيء لا يستدعي الخوف وقد يظهر خوف مزمن من خطر وشيك الحدوث لا يوجد ما يثبت حدوثه.

٣- القلق الأخلاقي:- وهو نتيجه للصراع بين دوافع الهو ووظائف الأنا الأعلى والتي عادة ما يصاحبها مشاعر قوية من الذنب المزيف " (اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته، ٢٠١١م، صفحة ٣٣)

ب- الوسواس:-

يرى "فرويد" أن الإنسان المصاب بالوسواس هو ذلك الانسان الذي بالغ في كبته للأشياء التي لا يستطيع الإفصاح عنها في صغره خاصه كبته للذنب فهو " الشخص الذي شب على عقدة الذنب وشجع العناد المسرف في الطفولة ثم كبت هذا العناد كبتا عنيفاً بالعقاب والتهديد " (الوقفي، ٢٠٠٣م، صفحة ٣٥٣) فالشخصية المصابة بالوسواس تتميز بالعناد المطلق في الصغر وسوء التوافق الذاتي وعدم القدرة على التحرر من ذلك العناد فضلاً عن ذلك يتوعد هذه الشخصية التهديد.

ج- الوهم:-

يعد الوهم من الأمراض الخطيرة التي تدفع بالفرد إلى حافة الضياع والتيه حيث يؤثر ذلك على حواسه وعقله ويعرف الوهم على أنه " شكل من أشكال التشوه الحسي ويدل على سوء تفسير الإحساس الحقيقي ، ويعرف أيضاً على أنه إيمان الشخص بمعتقد خاطئ بشكل قوي رغم أنه لا يوجد أدلة على وجوده أصلاً " (ابراهيم، د.ت، صفحة ١٦).

فالوهم هو تشوه يحدث للحواس يعمل على اخفاء الحقيقة ورسم صورة غريبة لا وجود لها فالشخص الذي يعاني من الوهم قد يرى أو يسمع أشياء لا وجود لها.

د- الاكتئاب:-

هو موقف عاطفي واتجاه انفعالي يتخذ في بعض الأحيان شكلا مرضياً واضحاً وينطوي على الشعور بالقصور وعدم الكفاية واليأس حيث يطغى هذا الشعور على المرء احيانا ويصاحبه انخفاض عام في النشاط النفسي والعضوي (اضطرابات الشخصية أنماطها وقياسها، ٢٠٠٨م، صفحة ١٩٢).

إذ يقع الإنسان في حالة الإكتئاب عند شعوره بعدم القدرة على فعل ما يريد مما يؤدي الى يأسه وإحساسه بالعدم تؤثر على نفسيته وجسده.

المطلب الاول

الحدث وأثره النفسي على الشخصية

يعد الحدث أهم المكونات الأساسية التي يقوم عليها البناء السردي فهو مجموعة وقائع منتظمة ومتناثرة في الزمان، وتكتسب تلك الوقائع خصوصيتها وتميزها من خلال تواليها في الزمان على نحو معين، ولهذا فكل من الحدث والزمن لا يكتسب خصوصية إلا من خلال تداخله مع الآخر (ابراهيم ع.، ١٩٨٨، صفحة ٢٤).

لذا فهو مجموعة من الوقائع الجزئية المرتبطة والمنتظمة على نحو خاص التي تأتي متناثره على وفق مخصوص في الزمان والمكان ويفضي تلاحمها وتتابعها إلى تشكيل مادة حكائية تقوم على مجموعة من العناصر الفنية وترتبط هذه العناصر ارتباطا وثيقا؛لأنها تمثل العنصر الفني الرئيس في العمل الروائي إلى جانب العناصر الأخرى (مرتاض، ١٩٩٣م، صفحة ١٩).

لذلك فالحدث هو "سلسلة من الوقائع المتصلة تتسم بالوحدة والدلالة وتتلاحق من خلال بداية ووسط ونهاية " (برنس، ١٩٩٣م، صفحة ١٩).

لقد أفاد السارد في رواية (بهار) من عنصر الحدث في الوقوف على الغاية التي يريد أن يوصلها إلى القارئ. وهي الجانب النفسي الذي وقعت فيه الشخصيات في الرواية، وما لاقته من تضييق و تعنيف واضطهاد وظلم. لذلك سنحاول في هذا المطلب ان نبين مكبوتات النفس ومشاعرها الداخلية وفق أنساق بناء الحدث إذ يقول الكاتب " خرجت الممرضة من غرفة بهار بعد أن حبست نبض قلبها مرة بيدها ومرة بسماعة كانت تضعها على أذنيها وسجلت في ورقة تحملها رقماً عن نبض قلبها، وتأكدت أن بهار تناولت دواءها الذي أوصى به طبيبها لتهدئة أعصابها.

كان الطبيب الذي يشرف على مراقبة حالتها النفسية، أملى عليها جملة من الإرشادات في الأيام الأولى لعلاجها، إن أرادت أن تتجاوز المحنة التي أصابتها، وكان من جملة الإرشادات أن تبتعد عن كل ما يذكرها بالظرف الذي عاشته. وثبَّت بث جهاز التلفاز في غرفتها على إحدى القنوات الفضائية المخصصة لبث الأغاني حصرا وأودع جهاز الريموت عند الممرضة. وأوصاها أن لا تعطيه لبهار ابداً. كانت بهار تراقب سلوك الطبيب النفسي، وتقارنه بالذي درسته في سنواتها الجامعية الأربع, مع ما قرأته في مطالعاتها الخارجية، وغفرت له أن يحدد حريتها في اختيار القناة الفضائية، التي ترغب في مشاهدتها، وكانت تتفهم رغبته في إبعادها عن مشاهدة القنوات الإخبارية، وما تبثُّه من مقاطع مصورة عن عمليات النزوح والتهجير، وصور القتل والتمثيل بالاقليات الدينية والمذهبية، لاسيما تلك التي تقطن المناطق التي اجتاحتها المجاميع المسلحة، وراحت تنشر الرعب بين أهاليها، ولكنها لم تستطع أن

تمنع نفسها من ان تتذكر الأحداث التي عاشتها بساعاتها ودقائقها، وبعض المواقف في ثوانيها لاسيما الصعبة منها (عامر، ٢٠١٧م، الصفحات ١٤-١٥) ".

نلحظ في النص أعلاه كيفية ترتيب الأحداث وما تحمله بين طياتها من آلام نفسية وجسدية تعرضت لها الشخصية (بهار) . إذ نلحظ أن الراوي يتحدث عن شخصية (بهار) بصيغة الراوي العليم الذي يعرف كل شيء عن تفاصيل الشخصيات ومكنوناتها الداخلية وكأنه يحمل صورة عن حياتها ويصفها بكل دقائقها. فهو يعبر عن طريق سرد الأحداث عن حالة الشخصية النفسية والأزمة التي مرت بها جرَّاء ما حدث لها من تهجير واغتصاب، وما شاهدته من مشاهد القتل والتعذيب والتمثيل بالجثث أمامها، مما سبب لها صدمة نفسية كبيرة وخوف دائم من القادم. لذا يحاول الكاتب ان يصف ويعبر عن حالتها ومكنوناتها.

كذلك نجد مثالاً آخر أورده الكاتب وفق نسق الحدث المتداخل وهو أحد أنساق بناء الحدث في العمل الروائي . تسرد فيه الأحداث بشكل متداخل زمنياً ودلالياً. وإذ يتداخل بعضها مع البعض الآخر (ابراهيم ع.، المتخيل السردي مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ١٩٩٠م، صفحة ١٠٩). ويتطلب هذا النسق من القارئ أن يأخذ جهداً فكرياً في قراءة النص لأن المتن فيه لا يأخذ مساراً واحداً " فالحدث السابق لا يكون سبب اللاحق وإنما يجاوره وقد تظهر النتائج قبل الأسباب، وقد تستبدل بعلاقات سردية بدل العلاقات السببيهة المعروفة " (ابراهيم ع.، المتخيل السردي مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة، ١٩٩٠م، صفحة ١١٠).

فيقول الكاتب: "طرق الباب طرقاً خفيفاً، ودخلت الممرضة الغرفة الثانية، حاملة بيدها حزمة أوراق، وفي يدها الأخرى تمسك قلماً، فاتجهت نظرات بهار لما تحمله الممرضة، وفيها رغبة لأن ينهي الطبيب حديثه معها، ويتركها وحدها ولم تنتابها خشية من وجود الممرضة، لو انصرف الطبيب، فهي عادةً ما تنجز عملها سريعا وتنصرف دون ان ينتابها فضول الثرثرة الجانبية ما لم يكن موضوعها أمراً يخص توجيهات الطبيب وارشاداته لها، في التعامل مع طوارئ حالة بهار النفسية وتقلباتها المزاجية.

اقتربت الأصوات من غرفتهن فانكمشن على بعضهن بأكثر من ذي قبل، وكان ندم التسرع على ما فعلن يحاصرهن مثل سرب دجاج تاه بعضه في مرج تيبس زرعه وسكنته بنات آوى فكن يكتمن صراخاً مرعوباً يقرع فزعهن، لكن خوف الكشف عن مكان الاختباء يمنعهن البوح فيه.

تحركت أكره الباب واطل رأس أشعث، تدلت منه حزمة ضفائر شعر أسود لف بعصابة من جهة الرأس، واختلط اسفل ذؤابات الضفائر بشعر اللحية المنقوش، وانفجرت شفتا فمه عن صف أسنان، بدت صفراء كلون السماء المغبرة، كانت نظراته مركزة على أيديهن المتشابكة فوق رؤوسهن. " (عامر، ٢٠١٧م، الصفحات ١٧-١٨)

نلحظ في النصوص السابقة تداخل الأحداث مع بعضها مدة زمنية مختلفة. فالكاتب يبين في هذا النص الأثر النفسي الذي تعرضت له شخصية (بهار). فتداخل الأحداث يكون صورة واضحة عن الموقف النفسي والألم والفوضى الذي وقعت فيه (بهار) مع زميلاتها، وحجم الدمار والاعتداء الذي تعرضت له الإنسانية وفطرتها السليمة والتشويه لصورة الدين الحنيف الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فشدة وقوع الأذى كونت عند الشخصية فوبيا داخلية وخوفا مستمرا، وذكريات مؤلمة ترافقها في حياتها.

وكذلك نجد مثالاً آخرا عن الحدث وتأثيره النفسي على الشخصية. إذ يقول الكاتب " امتدت أياد كثيرة نحوهن ومشين يصرفن عن كل يد تتحسس أجسادهن الفتية، وانتبه ابو براء للمضايقة التي يتعرضن لها، فأفرد ذراعيه على سعتهما واحتوى أجسادهن ملمومة على بعضها في حضنه، ليحمي غنيمة غروته التي استاثر فيها لوحده، وسار فيهن باتجاه باب البيت، وندت صرخة عالية من بهار رددت صداها جدران البيت المهجور وغطت وجهها بيديها لما حانت منها التفاتت جانبية، رأت فيها جثة جارها شموا مرمية عند عتبة باب داره، وثمة بركة دم حمراء، ترسبت تحت جمجمته المهشمة. دوت محركات العربات معلنة نهاية الغزوة، بعد أن حشرت بهار وصديقتها في إحداها، وكانت حركة العربات بداية إعلان لبعض الأهالي المجاورين للإنقضاض على محتويات البيتين ونهبهما، وراحت أبواق العربات تزعق لينفض الناس من طريقها، مخلفة وراء عجلاتها غيمة غبار، غطت على جثة شمو التي التي استباحتها أقدام الناهبين، وفيهم من تلطخت ثيابهم بدمائها (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٢٠).

نلحظ في هذا النص كيف وظف الكاتب الحدث التتابعي وكمية الألم النفسي الذي تعرضت له الشخصيات في هذا الحدث فالأحداث تأتي متسلسلة متتابعة يكمل بعضها البعض الآخر لتكون فكرة عند المتلقي عن كل الوقائع التي حدثت للشخصية. فالكاتب هنا تحدث بصيغة الراوي العليم الذي ترك الشخصية جانباً وبدأ يتكلم عنها بصورة كلية. ثم ينتقل مباشرة بعد هذا النص ليترك الشخصية تتحدث عن نفسها شخصياً وبقصة أخرى وهذا ما يسمى في علم السرد بالنسق (المضمن) (تودوروف، ١٩٨٨م، صفحة ٤٣).

إذ يقول الكاتب "انتابها غثيان عندما رات فاروق أهال بيده التراب، فوق صفحة سرواله من الركبة، الذي تلطخ بدماء آمال، وتجشأت قليلاً وفيها إحساس بالقيء، راح يندلق بغزارة من فمها ثم التقت عيناها بعينيه وهو يزيح كتل الدم المخلوط بالتراب عن سرواله بعود التقطه غير مبال من قرب جثة آمال ودارت الجموع من حولها ، وهوت روحها لقاع سحيق، ثم خرت إلى الأرض مغمياً عليها " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٥٤).

نلحظ في النص أعلاه أن الكاتب بدأ بسرد حادثة معينة من القصة الأصلية للعمل الروائي وما تثيره هذه الحادثة من متاعب نفسية ومشاعر مؤلمة لما رأت من أعمال إجرامية تندى له جبين الانسانية الفطرية الطاهرة.

إذ نلحظ أن الكاتب يتحدث بلسان الشخصية وبصيغة الراوي العليم ثم ينتقل مباشرة دون مقدمات ليقدم للقارئ قصة أخرى مختلفة زمنياً عن القصة الأولى وبصيغة الراوي المشارك.

إذ يقول الكاتب: "عند عتبات مراحلي الأربعة التي قضيتها في الكلية، بين طالباتها، سمعت ممن تتميز منهن بالشبق الجنسي، عن أن البغي لا ترى في كل ممارسة للجنس لذه تنتشي لها، لأن التكرار والتعود يجعل الجنس يغدو لها كأنه زفرة هواء، امتلأ فيها الصدر، وعافتها الرغبة أن تمتص الحويصلات الهوائية للرئتين ما تحويه تلك الزفرة من سموم ثاني أوكسيد الكربون المختلط ببقايا عفونة عوالق، شبه بالشهيق الذي سحب للداخل، واختلط بالبخار داخل القفص الصدري، وما صدَّقت عضلات الحجاب الحاجز ان تنقبض سريعاً لتلفظه خارجاً وترتاح منه. " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٥٤)

نلحظ في النص أن الكاتب جاء بقصة مغايرة عن قصة اختطاف بهار وتعذيبهن مع رفيقتها بهار الى ذكرياتها الجميلة مع زميلاتها في الجامعة وما تحمله هذه الذكريات بين طياتها من أحداث جميلة ورائعة تختلف عن تلك الأحداث الآنيه وما تعانيه من قسوة ووحشية من بني البشر.

ومن النماذج الأخرى للحدث وتاثيره النفسي على الشخصية ما نجده في نسق البناء الدائري للحدث وهو أن يتحدث الكاتب في القصة الاصلية ثم يقطع كلامه ليتحدث عن قصة أخرى ومن ثم يرجع مرة أخرى للحديث عن القصة الأصلية. إذ يقول الكاتب حكاية عن لسان الشخصية:" نمت ليلتي الثانية دون أكل، بعد أن قدموا لي وجبة فيها قطعة لحم، ولا تفارقني حتى هذه اللحظة، صورة أن أتناول شريحة لحم أراها قدَّت من جسد آمال! وهو وضع أضرني صحياً، حتى بت طريحة الفراش، رغم أني صارحت الطبيب النفسي بتخيلاتي تلك، والرجل كان كريماً وهو يُلزم الممرضة بجلب وجبتي أكل في كل وقت، واحدة لي وأخرى له، وكان ذكياً وهو يخفي محاولته طمأنتي، أن اللحم المقدم لي لحماً حيوانياً " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٥٥).

نجد في النص أعلاه أن الكاتب يسرد الأحداث على لسان الشخصية اي بصيغة الراوي المشارك في الأحداث. إذ يترك الكلام للشخصية لتتحدث بمطلق حريتها. وبكامل صلاحياتها دون تدخل منه على مجريات سير الأحداث. فنلحظ كمية الألم والقسوة الذي أضر بالشخصية نفسياً وبدنياً من تخيلاتها المستمرة والدائمة لبشاعة المنظر وقوة وقعه عليها. ثم يكمل الكاتب حديثه بقصة أخرى إذ يقول: "هوَّم النعاس، وتعلقت بثوب أمي أكثر، وأحسست أن أرجلي الصغيرة بات نعلي لا يثبت في قدمي جيداً، بين صخور تملأ شقوقها قطع الحصى والحجر الصغير، وينبت في الفجوات بينها زرع سحيق تحت ثقل جسمي " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٥٧).

قصة جديدة يضمنها الكاتب عندما ترك مجريات قصته الأصلية فيعود إلى الخلق ليجعل الشخصية تسترجع ذكرياتها الجميلة وهي محاولة ترميم واقعها المؤلم المر الذي تعيشه آنيا. وبعد ذلك يرجع الى القصة الأصلية مرة أخرى فيقول: "ران الوجوم على وجهي بهار وفيفيان، وهما يمشيان طائعتين مكسورتين جنب ابي البراء، تاركتان وراءهما حفنة أشباح لأناس يبدون طائعين مثلهما، وهم يكبرون استحساناً لحفلة النمر، التي أقيمت في الساحة. . حول جثة آمال!. "

نلحظ في النص أعلاه أن الكاتب يعود مرة أخرى إلى القصة الأصلية. وهو يتحدث عن قصة بهار ورفيقاتها آمال وفيفيان وما تحمله هذه القصة بين طياتها من ماساة وكبح وكبت للنفس البشرية تحت مسوغات وعنوانات تخالف فطرة الكون والحياة وبذلك حقق الكاتب نسق البناء الدائري.

المطلب الثاني

الشخصية وأثرها النفسي على الشخصيات

تعد الشخصية الركن الأساس الذي يقوم عليه البناء القصصي. فلا يمكن تصور أي عمل قصصي أو سردي من غير شخصيات فهي من مقوماته الرئيسة والقائمة على تحريك الأحداث وتفاعلها (جنيت، ١٩٩٧م، صفحة ١٧٩).

أما (فادلر) فيعرفها بأنها: "الدور والتمثيل الخيالي الذي يحاكي به الشخص الواقعي " (الخفاجي، ٢٠١٢م، صفحة ٤٥) لذلك فإن الشخصية الروائية هي الوسيلة الرئيسة والمهمة للكاتب لتمثيل رؤيته، والترجمة على احساسه بواقعه فهي " ركيزة الروائي الأمامية فهي الكشف عن القوة التي تحرك الواقع من حولنا، وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها، فالشخصية من المقومات الرئيسة للرواية، دون الشخصية لا وجود للرواية لذا نجد بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم الرواية شخصية " (الماضي، ٢٠١٢م، صفحة ٣٠) ترتبط الشخصية بكثير من العلوم ارتباطاً وثيقاً على سبيل المثال علم النفس والاجتماع والفلسفة، فهي تشترك معها بكثير من الروابط؛ لأن مجمل هذه العلوم غالباً ما يقوم على شخوص وكيفية وضع الحلول لهم ومعالجة أزماتهم.

لذلك يعرف (البورت) الشخصية بأنها: "التنظيم الديناميكي داخل الفرد لتلك الأجهزة النفسية الجسمية تحدد سلوكه وفكره " (الخالق، ١٩٨٤م، صفحة ٢٩) ولعل أبسط مفهوم للشخصية في علم النفس الواسع بنظرياته وتحليلاته السايكولوجية الواسعة أنها " جملة الصفات الجسمية العقلية والمزاجية والاجتماعية التي تميز الشخص من غيره تمييزاً واضحاً " (الجوعاني، ٢٠٠٠م، صفحة ١٩).

لذلك يعد المنهج النفسي من المناهج العامة والمهمة في تحليل الشخصيات الروائية. ويعد الناقد الفرنسي (سانت بيف) من الممهدين لظهور المنهج النفسي، وذلك لأنه ربط بين حياة الأديب وشخصيته ونتاجه فاذا استطعنا أن نكتسب معرفة بشخصية الأديب وحياته الخاصة والمؤثرات الرئيسة فيه . فإنهم شخصوا الصلة الوثيقة بين شخصيات الفنانين والأدباء وخصائص نتاجهم (علي و مصطفى، ١٩٨٩م، صفحة ١٧١).

ومن هنا فإن المنهج النفسي يساعد في الكشف عن البعد النفسي المكنون في أعماق الشخصية ويسعى لاستجلاء السلوك الإنساني. والكشف عن الكثير من مجاهل النفس الإنسانية ومزاجيتها وما يتعلق بها من دوافع وسلوك كما انه يساعدنا على تفسير الأحلام التي تنتاب الشخصيات ويفسر التحولات التي التي تطرأ على الشخصيات في الرواية (ستولنيتز، ٢٠١٧م، صفحة ٦٩٩).

ومن الشخصيات الرئيسة والتي أوردها الكاتب في العمل هي شخصية (فيفيان) وما وجدته هذه الشخصية من ظلم وحيف وألم نفسي أدى إلى اغتصابها وسبيها في نهاية الحدث: فيقول الراوي: "استقر الأمر اخيراً على أن أكمل دراستي، واعمل بمبدأ التقية الشيعي ولا أصرح بديانتي المسيحية لأحد، وإن استوجبت حماية حياتي فلا مانع أن تكتمت على ديانتي، وانتابني حينها شعور بمهادنة للتنظيم وما يريد، أرفضها داخلياً لكن حياتي ستنتهي إن لم أقبل فيها، وشيئا فشيئا بداتُ أستوعب مقدار الظلم والحيف الذي تعرض له أتباع المذهب الشيعي ليضطرهم الأمر في نهايته، ولكي يستمروا في الوجود، أن ياخذوا بمبدأ التقية مستنبطة من كتابهم المقدس " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٣٦).

ترى في النص أعلاه أن شخصية (فيفيان) قد تعرض لكثير من الضغط والألم النفسي. إذ أن مجريات الأحداث وحبكة العمل تدور حول إخفاء ديانة (فيفيان) خوفاً من القتل والسبي والتهجير. إذ أن الحدث يحمل بين طياته أنواع من القلق والخوف المستمر من القادم فهي شخصية غير مستقرة تعيش وسط مجتمع قلق وتائه. غير منضبط بضوابط وقوانين منطقية. كل هذه العوامل أدت إلى تأزُّم الحالة النفسية للشخصية. وجعلها تعيش في هيجان عاطفي شيء، وشعور داخلي مليء بالخوف والألم. ومن النماذج الأخرى للشخصية ما نجده في شخصية الطبيب الذي كان يشرف على علاج (بهار وفيفيان) النفسي في المستشفى. إذ يقول الكاتب: " كان الطبيب الذي يشرف على مراقبة حالتها النفسية، أملى عليها جملة من الإرشادات في الأيام الأولى لعلاجها، إن أرادت أن تتجاوز المحنة التي أصابتها، وكان من جملة الإرشادات أن تبتعد عن كل ما يذكِّرُها بالظرف الذي عاشته، وثبَّتَ بث جهاز التلفاز في غرفتها على إحدى القنوات الفضائية المخصصة لبثِّ الأغاني حصراً، وأودع جهاز (الريموت) عند الممرضة، وأوصاها أن لا تعطيه لبهار. . . . . لكنها بتوالي الأيام على وجودها في المستشفى، خف الضغط عليها وأعطيت

حرية اكثر، ورفع عنها منع زيارتها لصديقتها فيفيان في الغرفة المجاورة لغرفتها، فاستغلت تواجد الطبيب عندها وسألته:

-دكتور أريد حزمة أوراق وقلم.

رفع الطبيب نظره من على أوراق طبلتها الطبية التي يرفق فيها، وثبت نظارة عينيه بإصبع يده، فوق أرنبة أنفه جيداً، ورفع حنكه للأعلى، ثم تشاغل بحك رقبته من الأمام وبدأ مفكراً، وقال موجهاً كلامه للممرضة المرافقة له:

رزمة أوراق وقلم.

انسحبت الممرضة لتلبية الطلب صامتة، والتفت الطبيب ناحية بهار:

-لا باس. . .

رد بابتسار ثم أضاف مؤكداً.

- أنت كما قلت. . طالبة علم نفس، مرحلة رابعة. .

ارتأت أن تهز رأسها موافقة بالإيجاب، ورغبة منها في عدم مقاطعته فأكمل قائلاً:

- في الغرفة الأخرى صديقتك فيفيان، وهي نفس تخصصك. . والظاهر أنتما شاطرتان بعلم النفس!

ردت مستفسرة وقد علت الإبتسامة شفتيها الجافتين:

- كيف عرفت؟

- فيفيان صديقتك هي الأخرى طلبت رزم أوراق وقلم. .

ثم استنتج عملياً:

-هذا يعني أنت وفيفيان تعرفان نصف العلاج. .

صمت قليلاً وأضاف:

–ألم تدرسي أن الكتابة لمن يقهر تفريغ لكبته الفكري والنفسي؟.

– نعم. . أعرف ذلك.

–طيب هذا يعني. . أنت وصديقتك تشاركانني في علاج المشكلة " (عامر، ٢٠١٧م، الصفحات ١٤–١٦)

من الشخصيات الرئيسة في رواية (بهار) هي شخصية الطبيب النفسي الذي كان يشرف على حالتها عندما أحيلت إلى المستشفى. فهو شخصية طيبة. كان له الأثر الواضح في تحسن حالة (بهار) وصديقتها (فيفيان) النفسية.

إذ نلحظ في النص كيف كانت هذه الشخصية إحدى العوامل في شفاء (بهار) وتعافيها من أزمتها النفسية التي تعرضت لها في محنتها. إذ انها شخصية مركزية صاحبة موقف واحد ونضج فكري وعقلي. استطاعت بذكائها وخطتها ان تؤثر فيمن حولها. وتحصل على نتائج قيمة وكبيرة. وتسيطر على كل الرعب والخوف والألم الذي تعرضت له (فيفيان وبهار) .

ومن الشخصيات الأخرى في رواية بهار شخصيتان كان لهما الأثر الكبير في تأزم حالة (بهار وفيفيان) النفسيه جراء العنف والقسوة الذي وجدته منهما. إذ يقول الكاتب " أفرد أبو براء أصبع السبابة من يده اليمنى وعكف ذراعه ناحية الذراع الأخرى وقال:

– غداً عصراً سأترجل من سيارة تقلني إلى أَقرب الوحدات العسكرية هناك.

استعجله فاروق قائلاً بعد أن بدأ أبو براء يمط الحروف، وعافت نفسه الحديث في الأمر برمته:

–ها. . . أكمل. . . كيف ستهرب؟.

كز أبو براء على أسنانه غيظاً وقال:

–أما سأقتل السائق الذي سيرافقني وآخذ السياره منه وأهرب. . أو سأهرب صباحاً!.

أخرج من جيب قميصه كومة هويات رسمية وبطاقات شخصية فقال:

–هذه كفيلة بإيصالي لجهتي المنشودة.

ترك فاروق أمر هروب أبي براء جانباً بعد أن ألم بكل تفاصيله وقال مشيراً باتجاه غرفتي حجز بهار وفيفيان:

–والبنات؟!. . . . .

–فقال لنقضي الليلة معاً في الدار انا اخذ فيفيان وانت خذ بهار " (عامر، ٢٠١٧م، الصفحات ٨١–٨٢)

يوجد شخصيتان في النص أعلاه. هما شخصية (أبو البراء) وشخصية (فاروق) . هذه الشخصيات تعاملت مع الشخصيات الأخرى بطريقة وحشية، طريقة تبتعد عن الرحمة والعطف والإنسانية التي جاء بها الدين الإسلامي الحنيف. تعذب روح الإنسان وكيانه الداخلي وتتلذذ وتستمتع بتعذيبه. لهذا خالفت هذه الأعمال تعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي احترم الانسان بمختلف أطيافه ودياناته.

لذلك كانت هذه الشخصيات عاملاً أساسياً في تأزم الحالة النفسية للشخصيات الأخرى في العمل (سيفي وبهار) . آثر التعامل معها بقسوة وألم يهز كيان الإنسان ويتعدى على خصوصيته وإنسانيته.

المطلب الثالث

الزمان وأثره النفسي على الشخصية

شغل مفهوم الزمان النقاد قديماً وحديثاً وسلكوا فيه طرُقاً شتى، إذ أن الزمان يشكل خطاً متواصلاً تنازعت عليه قوى ثلاث في الماضي والحاضر والمستقبل. لذلك فإن الشكلانيين الروس كانوا من أوائل النقاد الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الأدب ومارسوا بعضاً من تحديداته على الأعمال السردية المختلفة (بحراوي، ١٩٩٠م، صفحة ١٠٧).

لقد انبثق الزمان السردي في الدراسات الحديثة من تفريق الشكلانيين الروس بين زمن المتن الحكائي، وهو الزمن الذي يفترض أن الأحداث قد جرت فيه فعلاً، وزمن المبنى الحكائي وهو الوسائل التقنية للزمن الذي يخلق الإيهام الزمني فضلاً عن الوقت الضروري لقراءة عمل سردي معين، وهذا الزمن يتحكم فيه المتلقي والقارئ، يدل هذا على أن زمن المتن الحكائي هو زمن تأريخي في حين أن زمن المبنى الحكائي هو زمن جمالي (ريكاردو، ٢٠٠٤م، صفحة ١٥).

ومن النماذج العملية للزمان السردي ما نجده في قول الكاتب: " وكنت فتاة كسائر الناس التي تعيش في مدينتي، أتأثر في الذي يجري حولي، وقطعاً إن كان المجانين والمجرمون طلقاء في شوارع مدينتي، فإن لم أكن

مثلهم مريضة نفسياً او مجرمة، فستراودني أفكار المجانين، وفوضى المجرمين المتخبطة، وكان من جنوني وتخبطي أني أقمت حفلة عيد ميلادي، وسط مدينة تجارتها الرائجه فتح مدارس تعلم أهلها القتل والجنون، ويباع الموت بالمجان وسط شوارعها!. " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٢١)

نلحظ في النص أعلاه أن هناك تأريخ زمني يشكل حدث مهم عند الشخصية وهو تأريخ عيد ميلادها. هذا التأريخ انقلب من حالة الفرح والسرور إلى حالة الحزن والألم والضياع. ففي نفس التأريخ وبسبب الإحتفال في عيد ميلاد (بهار) احتجزت واعتقلت مع زميلاتها. لذلك انقلبت الحالة من حالة الفرح والهناء والإحتفال إلى حالة التأزم والضياع والحزن. لذلك نجد في النص أن الشخصية بدأت تسترجع كل ذكرياتها وتحلل كيفية تحول دلالة هذا الزمن من الفرح إلى الحزن. فكانت هذه المدة تشكل عائقاً نفسياً في ذاكرة الشخصية تيأس حالتها كلما تذكرته.

ومن النماذج العملية الأخرى للزمان وأثره النفسي ما نجده في قول الكاتب: " وابتل الريق لما تعرفت على (سكمان) ، ويوم دخلت الجامعة كان هو في المرحلة الأخيرة. وبذات التخصص الذي أدرسه، وأخلص لي طوال مدة دراستي على أمل أن يتقدم لخطبتي من أهلي هذا العام، ولو كان يعلم بالذي سيجري لي لأخذني وطار بي لآخر حدود الدنيا، ولأعاد أمجاد أعراف تختطف الحبيبة لأيام، ثم ترجعها لأهلها فيكونون أمام الأمر الواقع، ويتزوج الإثنان ليعيشا بمحبة وسعادة كما كان يفعل اجدادنا وجداتنا. فيا إلهي. . . . . ألهذا اليوم توسلت وعطشت؟!. أليوم أبي براء عطشت وتيبس لساني؟!. أم أني فعلت ذلك ليوم سكمان! رحماك يا ربي " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٢٩) نلحظ في النص اختلاف زمني واضح يحمل بين طياته ذكريات جميلة للشخصية بدأت باستذكارها. وكذلك واقع مؤلم يناقض و يخالف ما كانت تحلم به. إذ نجد أن هناك جمع بين استرجاع واستباق؛ استرجاع لذكريات جميلة عندما كانت طالبة جامعية في ريعان شبابها تحلم وتتمنى الزواج من رجل يحبها وتكمل معه حياتها. ومن ثم ترجع الشخصية في نفس المقطع الكلامي لتتكلم عن الواقع والمستقبل وجدته من أحداث صدمت بها وفي كلا الزمنين هناك أنين ووجع تتنهد منه الشخصية ولكن الفرق أن في استرجاعها لذكرياتها ألم، حنين للماضي وجماله، وفي الحاضر والمستقبل ألم ووجع نفسي قاهر.

وكذلك نجد مثالاً آخر للزمان وما يحمله من ألم نفسي للشخصية إذ يقول الكاتب " كان أهلي مثلي عاجزين عن استيعاب وتيرة الأحداث السريعة، وقد تجلت حيرة العائلة عندما طلبت منهم أن يجدوا لي رداً، سألني طالب أو طالبة في الجامعة عن جواز مروري الديني والطائفي، الذي بات كل من هب ودب يسأل الآخر كما الآخر يسأل عنه!.

قلت اسأل عائلتي ونحن مجتمعون على سفرة العشاء، وعبرة بكاء تعتصرني:

– وبماذا أرد لو سألوني عن ديانتي؟!.

لوَّحَ والدي في الفراغ قرب وجهه، في الملعقة التي يمسكها بيده، وقال:

–إن شاء الله اتقولي من المريخ!

وأضاف متحسِّراً وبجزع وحيرة:

– يا ربي نحناوين، والمشاكل الي بتوقع فوقنا وين!. " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٣٧)

عند عند قراءتنا للنص بتمعن ودقة نلحظ أن فيه أنواعاً من الألم والحسرة والقهر والضيم الذي تعرضت له شخصية (فيفيان) المسيحية فهي فتاة مسيحية جامعية، وقعت ضحية النزاعات والخلافات الطائفية والدينية في تلك المدة الزمنية. فهي تحمل على عاتقها ضغط كبير. إذ يجب عليها أن تكون حذرة في كل حركاتها وتصرفاتها خوفاً من نطقها بكلمة كفيلة بالقضاء على حياتها. لذلك كانت هذه المدة الزمنية التي استرجعتها الشخصية (فيفيان) من أشد فصول حياتها ألما وفزعاً وضيقاً.

كذلك نجد في هذا النص استرجاع زمني افضت به الشخصية: " تلك الليلة أطبق الصمت على الدار، وما سمع الحارس غير صوت رجلين يصرخان بجنون هستيري، اهتزا له شارباهما غيرة، فلم يعثرا على بطولة يفزعان فيها كبتهما، غير بطولة اغتصاب على سرير نوم، يرفض الآخر أن يشاركهما فيه!، وقريباً من هذا الشعور انتاب الحارس في ظلمة الدار، هوس أفكار تدعوه أن يشارك الآخرين فعلهم . واغتابت بهار وراء جدران غرفتها. كبار السن في مجتمعها الأيزيدي، تلك المجموعات الصغيرة التي ما زالت تنتشر في قصبات وقرى قضاء سنجار، وترى الغيرة والرجولة في طول شارب ها هو يتدلى من وجه فاروق على صدرها ، مثل ذنب قط يلاعب فأره ليستغفلها قبل أن ينقض عليها ويلتهمها " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٨٢).

نلحظ في النص أعلاه استرجاع زمني مصحوب بإحساس وشعور نفسي مؤلم تعرضت لها الشخصيات وهي تنقل لنا أحداث الواقعة. إذ ترى أن هناك اختلاط في المشاعر بين ذكريات جميلة انقضت وواقع مر ومؤلم آني.

٤-المطلب الرابع

المكان وأثره النفسي على الشخصية

أدرك الإنسان أهمية المكان منذ عصوره الأولى، وسر انجذابه إليه، وتعلقه به، فقد عاش في أماكن متعددة ومختلفة جعلتة ينجذب نحو المكان ويألف إليه ،ويظل متعلقاً به في بعض الأحيان، وينفره ويبتعد عنه أحياناً أخرى إلا " أن موقف الحضارات القديمة في معالجتها للمكان كانت معالجة حسية موضعية ، إذ لا يستطيع الإنسان البدائي إدراك المكان إلا من خلال أشياء حسية ملموسة، فالتفكير الحسي للمكان هو السائد في تفكيرهم " (العبيدي، ١٩٨٧م، صفحة ١٧)

فالعلاقة بين الإنسان والمكان علاقة وثيقة وقديمة، وراسخة في النفس البشرية، واستعمال الإنسان للمكان وتعلقه به يوميا ومستمراً، سواء بقصد العيش أو التواصل مع الآخرين، هذا الإستعمال اليومي للمكان يكسب المكان أهمية خاصة، لا يؤدي دوراُ يسهم مع عناصر أخرى كالشخصية والزمان والحدث والبيئة الإجتماعية والثقافية في تكوين السلوك الإنساني (شريف، صفحة ٤٩).

يعد (غاستون باشلار) أول من وقف عند جماليات المكان وقفة خاصة. وقام " بدراسة القيم الرمزية المرتبطة بالمناظر التي تتاح لرؤية السارد أو الشخصيات سواء في أماكن إقامتها كالبيت والغرفة المغلقة أم في الأماكن المنفتحة، والخفية أو الظاهرة المركزية أو الهامشية (بحراوي، بنيه الشكل (الفضاء، الزمن، الشخصية)، ١٩٩٠م) " لذلك سنتحدث في هذا المقام عن المكان الروائي في رواية (بهار) وما يخفيه ويظهره هذا المكان من تأثير على الشخصية سلباً وإيجاباً. ومن ذلك قول الكاتب: " ارتجَّ باب الدار كأنَّ أحداً يدفعه بيديه ورجليه عنوة، وطقطقة قطعة سلاح وهي تلقم بطلقتها، ثم دوي انفجار في شباك الغرفة وتناثر على إثره الزجاج، كنتف القطن، وندت عن الثلاثة صرفة محمومة لنجاة طريد ذئاب وسط ليل الصحراء.

ترافعت أقدام كثر، وراحت تركل أقدام البيت ومحتوياته، وسمعت أبواب دواليب تكسر، فتكوَّرن على بعضهن في الزاوية، وفيهن رغبة خوف لا يشققن كوة في حائط الغرفة ليلذن فيها رعبا، وكان لفظ الأصوات يقترب أكثر من باب الغرفة. وسمعن من يصرخ على زميل له. . خذ الحلي يا رجل " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٧)

المكان الأليف هو المكان الذي يشعر فيه الإنسان بالراحة والإطمئنان والأمان سواء كان البيت أو المدرسة او المدينة. والمكان المعادي هو المكان الذي يشعر فيه الإنسان بالخوف وعدم الأمان كالغابة والبحر وغيرها. ولكن في كثير من الأحيان تتحول دلالة المكان من الألفه إلى العداوة وبالعكس. وفي هذه الحالة يكون المكان تحت تأثير الحدث الذي يجري فيه فيحول دلالته من شيء إلى شيء آخر. ففي هذا النص نلحظ أن دلالة المكان قد تحولت

من مكان الألفة وهو البيت إلى مكان عداوة فبسببه تعرضت الشخصية للإعتقال والإغتصاب مع رفيقاتها. لذلك كان هذا المكان له تاثيراً واضحاً في نمو الأزمة النفسية للشخصية وتطورها ونضوجها.

ومن النماذج العملية الأخرى للمكان ما نجده في قول الكاتب: " وحميداً للرب أن عائلتي كانت تسكن سهل نينوى، ذي الغالبية المسيحية ، لكن المصيبة كانت أدهى من كل ذلك، وبدت المضايقة التي وصلت للتنكيل والضرب، وفي بعض الأحيان لقتل من يكتشف مسيحياً، وله ارتباط عمل أو دراسة داخل مدينة الموصل، وجرى الأمر قبيل دخول المسلحين لمركز المدينة بأيام، فيما بقيت أبواب جامعة الموصل مفتوحة، لكن الدراسة فيها كانت مشوبةً بالحذر والتوجس " (عامر، ٢٠١٧م، صفحة ٣٥)

في النص أعلاه نجد تحول لدلالة المكان أيضاً. إذ أن المدينة مكان السكن والجامعة في كثير من الأحيان تكون مكان ألفة أو راحة. ولكن نجد في هذا النص أن دلالة المكان قد تحولت من الألفة إلى العداوة، ومن المحبة إلى العداوة والكراهية؛ بسبب الأحداث التي تجري فيه. فشكل أزمة نفسية كبيرة لدى الشخصية. فالمكان و هجرانه والحنين إليه يكون كمية من المشاعر تفوق وتتعدى مشاعر الحنين إلى الإنسان وغيره. فإذا ذهبنا قليلاً في أعماق التأريخ نجد أن كثير من من الشعراء قد تفنن بحب المكان والحنين إليه والبكاء على الأطلال.

ومن النماذج العملية الأخرى للمكان ما نجده في قول الكاتب:" سأعذر نفسي على فكرتها المجنونة، لما طلب أن أقيم حفلة عيد ميلادي هذه السنة على الرغم من اعتراض والدي على ذلك، كون الوضع العام لمدينة الموصل وما يجري فيها عبارة عن مستشفى الجملة العصبية، تعجُّ بمجانين ومرضى نفسيين لظروف كثيرة، وسأفترض لتوصيف حالة المدينة، أن إدارة المستشفى وحراس بوابتها الرئيسة نسوا. . . أو تناسوا غلق البوابة بحذر وإحكام، وكان من نتيجتها أن إدارة المستشفى ايقظت صباح اليوم التالي، على عربدة مجانين ومرضى نفسيين أطلقوا بالعشرات لشوارع مدينة نائمة تلك الليلة بهدوء وسكينة، وكان في المرضى الكثير ممن دفعهم الظرف النفسي، وعقدة السيادة والتسلط والرغبة (السادية) بإيذاء الغير، لأنه يخلق منهم مجرمين محترفين، وقطاع طرق يعرفون مسالك المدينة ودروبها كلها. وكنت فتاة كسائر الناس التي تعيش في مدينتي، أتأثر في الذي يجري حولي، وقطعاً إن كان المجانين والمجرمون طلقاء في شوارع مدينتي، فإن لم أكن مثلهم مريضةً نفسياً أو مجرمة، فستراودني أفكار المجانين، وفوضى المجرمين المتخبطة، وكان من جنوني وتخبطي أني أقمت حفلة عيد ميلادي، وسط مدينة أصبحت تجارتها الرائجة فتح مدارس تعلم أهلها القتل والجنون، ويباع بالمجان وسط شوارعها!. " (عامر، ٢٠١٧م، الصفحات ٢٠-٢١)

عندما قرأت رواية (بهار) بدقة وتمعن وجدت أنها في جميع عباراتها ونصوصها تحمل حزن عميق ونفس مكبوت وألم شديد يحاول أن يخرج إلى الفضاء بشتى الوسائل والطرق. فأي حديث تتحدث به عن الشخصيات وفي كل المجالات يكمن خلفه أنواعاً متعددة من القصص والقضايا والوقائع. تريد الشخصية أن تجد متلقياً يسمعها لتخرج ما بداخلها من هم وحزن وألم. فمدينة الموصل في هذا النص سرعان ما تحولت دلالتها بسبب ما جرى فيها من أحداث من مدينة الجمال والزهور والزينة إلى مدينة أشباح وخوف وألم .

الخاتمة

في نهاية هذا العمل الذي يحمل عنوان (الدوافع النفسية في رواية بهار) ، لابد من الخروج بجملة من النتائج التي توصلت إليها عن طريق الغوص في أعماق هذه الرواية.

١- تحكي الرواية في مفهومها العام قصة مدينة كانت آمنة مستقرة تزهو بالنعيم. ولكن سرعان ما تحولت إلى مدينة أشباح. بفعل الظلم والحيف الذي وقع عليها بفعل أطراف متنازعة وجماعات مسلحة

٢- وجدت في هذا العمل قابلية الإنسان وقدرته على تحمل الألم والظلم. وهذا بفعل قوة خفية ولطف منحه الله للإنسان.

٣- وجدت في هذه الرواية أن عنصر الحدث السردي شكل عاملاً مهماً في تفاقم الحالة النفسية للشخصية. إذ أن لكل حدث وواقعة لها تأثير في كنه الشخصية.

٤- كذلك وجدت أن الشخصيات فقدت إنسانيتها وتحولت آدميتها إلى قسوة ضارية، وتعامل وحشي مع بعضها .

٥- أما الزمان فقد كان بين استرجاع للذكريات الجميلة والحسرة عليها وبكائها. وبين واقع مؤلم ومضطرب.

٦- كذلك المكان تحولت دلالته من الألفة إلى العداوة وهذا ينهك الإنسان ويوهن قواه وينهي مستقبله.

المصادر والمراجع

اتجاهات علم النفس النظرية وتطبيقاته (المجلد د.ط). (٢٠١١م). الاردن: جدار الكتاب العالمي للتوزيع.

أحمد رحيم كريم الخفاجي. (٢٠١٢م). *المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث* (المجلد الاولى). الاردن: دار صفاء للنشر والتوزيع.

أحمد محمد عبد الخالق. (١٩٨٤م). *الأبعاد الأساسيه للشخصية* (المجلد الثالثة). (هـ. ج. أيزنك، المحرر) أسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

أحمد يحيى الزق. (٢٠٠٦م). *علم النفس* (المجلد د.ط). عمان، الأردن: دار الأوائل للنشر.

اضطرابات الشخصية أنماطها وقياسها (المجلد الاولى). (٢٠٠٨م). عمان: دار الصفاء للنشر والتوزيع.

باسم شريف. (بلا تاريخ). *الزمن والمكان دراسة سيميائية*.

تزفيتان تودوروف. (١٩٨٨م). مقولات السرد الأدبي. *مجلة افاق*.

جان ريكاردو. (٢٠٠٤م). *قضايا الرواية الحديثة* (المجلد الاولى). (كامل عويد العامري، المترجمون) دار الشؤون الثقافي العامة.

جبرالد برنس. (١٩٩٣م). *المصطلح السردي* (المجلد الاولى). (محمد بربري، المحرر، و عابد خزندار، المترجمون) القاهرة، مصر: المجلس الاعلى للثقافة العربي.

جيرار جنيت. (١٩٩٧م). *عودة إلى خطاب الحكاية* (المجلد الثانية). (عبد الجليل الازدي محمد معتصم، المترجمون) القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.

جيروم ستولنيتز. (٢٠١٧م). *النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية* (المجلد د.ط). (ترجمة فؤاد زكريا، المترجمون) مؤسسة هندواي.

حسن العبيدي. (١٩٨٧م). *نظرية المكان في فلسفة ابن سينا* (المجلد الاولى). (عبد الامير الاعسم، المحرر) دار الشؤون الثقافية العامة.

حسن بحراوي. (١٩٩٠م). *بنيه الشكل (الفضاء، الزمن، الشخصية)* (المجلد الاولى). بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

حميو عامر. (٢٠١٧م). *رواية بهار* (المجلد الثانية). سوريا: دار ليندا للطباعة.

راضي الوقفي. (٢٠٠٣م). *مقدمة في علم النفس* (المجلد الثانية). عمان: دار الشروق.

سعيد عبد خضير الجوعاني. (٢٠٠٠م). *الشخصية في القرآن الكريم دراسة موضوعية بلاغية*. جامعة بغداد.

سيغموند فرويد. (١٩٤٠م). *الموجز في التحليل النفسي* (المجلد د.ط). (سامي محمود القفاش، المترجمون) مصر: دار الهيئه المصريه للعالم للكتاب.

شكري عزيز الماضي. (٢٠١٢م). *فنون النثر العربي الحديث* (المجلد د.ط). الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.

عبد الرضا علي، و فائق مصطفى. (١٩٨٩م). *في النقد الادبي الحديث- منطلقات وتطبيقات* (المجلد الاولى). الموصل: دار الكتب للتوزيع والنشر.

عبد الله ابراهيم. (١٩٨٨). *البناء الفني لرواية الحرب في العراق دراسة لتنظيم السرد والبناء في الرواية العراقية المعاصرة*. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

عبد الله ابراهيم. (١٩٩٠م). *المتخيل السردي مقاربة نقدية في التناص والرؤى والدلالة* (المجلد الاولى). المغرب: المركز الثقافي العربي .

عبد الملك مرتاض. (١٩٩٣م). *الف ليله وليله دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد* (المجلد د.ط). ديوان المطبوعات الجامعية.

فرج عبد الله القادر طه ، و وآخرون. (٢٠١٧م). معجم *علم النفس والتحليل النفسي* (المجلد الاولى). بيروت، لبنان: دار النهضة للنشر والتوزيع.

منير ابراهيم. (د.ت). *صناعة الوهم*. الحوار .www.alhewar.com